مجلّة اللّغة العربيّة   المجلّد: 22 العدد: 3   السّنة: الثّلاثيّ الثّالث 2020 ص: 499 - 522

التشفير بين الترجمة والتأويل

أ. ياسمين فيدوح*

تاريخ الارسال: 14-01-2020   تاريخ القبول: 10-02-2020

ملخص البحث:

تأتي هذه الدراسة لتتناول موضوع الترجمة من زاوية التشفير، أو ما يسمى في الدراسات السيميائية بالتسنين، للنظر في دور المترجم الكفيء الذي من شأنه أن يميّز بين الإشكال الواقع في أيّهما أولى الترجمة الحرفية، أو الترجمة القائمة على المعنى المجازي، والنقل الكفء، كما أنه يحيلنا إلى النظر في وظيفة ائتمان المترجم على استيفاء المعنى من اللغة الأم، أم أنه أخلفَ وعد الوظيفة المتوخاة.

و ما ينبثق من هذين السياقين من مشاكل، يرتبط أغلبها بظاهرة المكافئات أو المعادلات Equivalent التي تزيد التراكيب النحويّة من تعقيدا.

وعلى الرغم من أن الكثير من الباحثين استحدثوا لها مسوّغات، فيما نظروا إليه على أن هذه التجوُّزات تدخل ضمن ما يسمّى بالمكافِئات في شتى أنواعها مثل الأسلوبية، والعلاماتية، والتركيبية، والتواصلية، ومن ثم فإن الدلالة التي تندرج ضمن اللغة الأم، تعدّ علامة متفاعلة لا يجوز أن تكون قارّة في المعنى المماثل في اللغة المنقول إليها، ووفق هذا المنظور يرى جورج مونان George Mounin أن إمكانية التواصل بين اللغات من منظور التأثر والتأثير حالة طبيعية تحقق

* جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر، البريد الالكتروني: fidouhyasmina@gmail.com (المؤلف المرسل)

الأهداف المتوخّاة نفسها، أضف إلى ذلك أنه بإمكان الترجمة أن تبتكر نصًا من النص المصدر بشكل متميز.

الكلمات المفاتيح: ترجمة، تأويل، تسنين، معنى مركزي، معنى كفيء.

Abstract

This study comes to address the subject of translation from the angle of encryption, or so-called semiotics studies teething, to consider the extent of the role of a competent translator that would distinguish between the problems in whichever first literal translation, or translation based on the metaphorical meaning, and efficient transport, as if It refers us to consider the translator's credit function to fulfill the meaning of the mother tongue, or he has broken the promise of the intended job. Or the problems that emerge from these two contexts, most of which are related to the phenomenon of equivalents or equations, which are complicated by grammatical structures.

Although many researchers have justified them, we see that these transgressions fall within the so-called equivalents of various kinds, such as stylistic, allotropic, syntactic, and communicative, and therefore the significance that falls within the mother tongue, is not an interactive sign Being a continent in a similar sense in the language to which it is transmitted, according to this perspective, George Mounin believes that the possibility of communication between languages from the perspective of influence and impact is a natural state that achieves the same objectives.

Key words: translation, hermeneutics, teething, central meaning, efficient meaning.

1. الترجمة ونسق الجدوى:

يتضمّن الخطاب في دلالاته ضوابط تنظم الحالة الإبلاغية التي تجمع كل ما هو مشترك بين المرسل والمرسل إليه، وتبعا لذلك تكون الرسالة واضحة المعالم

وفق السمت الذي ينهجه كل خطاب، وبحسب مستوى الوظيفية التي يؤديها؛ لأن طبيعة الإبلاغ وفق هذا المنظور توحّدها الصورة المشتركة بين **الباث** (صاحب التّسنين) **والمتلقي** (المشفّر)، بالاستناد إلى توافر العوامل المشتركة في عملية التواصل التي حدّدها ياكوبسون Roman Jakobson إضافة إلى الباث والمتلقي في **قناة** بوصفها (الصلة الرابطة بين المرسل والمرسل إليه،) **ورسالة** (تتضمن نصا تحيل إليه بشفرات مشتركة بين الباث والمتلقي)، **وسياق**، هو بمثابة (الفضاء الذي تتكوّن فيه الرسالة)، **وشفرة** (تقوم الرسالة على أساسها)، بالإضافة إلى الموجبات التواصلية التي حدّدها هارولد دوايت لاسويل (Dwight Lasswell 1948) في معادلة: "من يقول؟، وماذا؟، ولمن؟، وبأية وسيلة؟، وبأي أثر؟، ولماذا قال؟.

وتكمن القيمة الإخبارية في التسنين The code الذي يحمل طابع الشمولية[1] في التصور، ضمن التواصل المتبادل بين المرسل والمرسل إليه، على أن يكون النسق الجامع بينهما الفهم والإفهام، ومن ثم تكون بداهة العلاقة بين الترجمة والتأويل مترابطة، نظير ما ترسخه مفاصل التسنين، بوصفه أحد أنساق التواصل عبر سياق أدائي، ضمن محيط ما اصطلح عليه في اللغة بالمواضعة، التي يكون التخاطب فيها مُبينًا، حتى لو اقتضى الأمر تجاوز اللفظ لما وضع له بالمجاز؛ من أجل فهم المعنى بين لغة النصّ المصدر والنصّ الهدف.

ولعل أهمية العلاقة بين الترجمة والتأويل ضاربة في عمق مداليل فهم النص المصدر، الذي يغادر منفاه عبر رحلة ليتوسّع في لغات متعددة، يحكمها تلاقح المعرفة والتثاقف، وفي ظل ذلك لم تعد لغة الآخر عائقا في الوصول، كما أن الفكرة لم تعد رهينة الإفراز المحلي، بعدما باتت الترجمة باعثًا وظيفيًا تُخصب المدّ التثاقفي، وتُنعش مداه، وهو ما تعززه قيم المعارف الجديدة التي أصبحت

بادية في اتجاه تقارب الصلات بين اللغات المختلفة، وجلية في تعزيز التصورات البينية، كل ذلك بدافع ثورة الاتصال، والتطورات المتسارعة في مجال تكنولوجيا المعلومات، التي أحدثت تحوّلات مهمة، وتطوّرات عظيمة؛ لتفعيل أساليب الترجمة في تعاملها مع نقل العلوم والمعارف من لغتها إلى اللغة المحلية حيثما كانت.

وبما أن الترجمة، وأشكال التثاقف المتعددة، تعدّ من أهم وسائل التواصل فإن دورها الفاعل يقتضي تمكين النص الهدف من الخصوصية في الذائقة المستهدفة، بوصفها (لغة القصد)، التي تحمل في مضامينها خصوصية ثقافة التسنين المحلية، من منظور أن لكل لغة قوانينها المنظّمة لقيم التواصل المتعارف عليها في صيغها المسنّنة Codage، وبذلك يكون المعنى المراد في النص الهدف، هو ما استفيد بسياق وضعه في معنى النص المصدر. وفي هذه الحالة يكون نقل المعنى عند المترجم قائما على إمكان نقل السياق من معناه الأصلي إلى ما تستوجبه الذائقة المتلقيّة؛ ما يعني أن نقل النسق الحرفي لنص المصدر غير مجدٍ في صورته الأوفى من تلقي النص الهدف، الذي يغلب عليه طابع الاصطلاح بالمواضعة، وليس بالنقل الحرفي؛ بالدلالة العرفية؛ أي بدلالة المعنى الضمني Connotative meaning، وليس كما هو ثابت في الحقيقة اللغوية. ومن ثم يكون توصيل المعنى من لغة المصدر بضوابطها النحوية إلى لغة الهدف (المنقول إليها) هو حصول التبليغ من ظاهر **معيار النقل** على حساب **ميزان دلالة الفهم**؛ إيمانا منا أن كل ترجمة لا يتوافر فيها شرط التبليغ بالفهم والإفهام لا تتحقّق فيها الغاية المنشودة، على حدّ تعبير إدوارد سابير Edward Sapir من "أن التجربة الحياتية تتحدّد في الغالب من خلال العادات اللغوية في المجتمع، وأن كل بنية لغوية

منفصلة تمثل حقيقة منفصلة... ومن ثم لا تتشابه لغتان أبدًا بما فيه الكفاية لكي نعتبر أنهما يمثلان الحقيقة نفسها، بل إن العوالم التي تعيش فيها مجتمعات مختلفة تماما؛ لأن الاختلافات هي اختلافات حقيقية، لا مجرّد فروع ضمن العالم الواحد نفسه."(2)

وإذا كان لكل لغة سَننها الخاص بها، فإن عملية نقلها إلى اللغة الثانية - ضمن السياق الثقافي - يستوجب مرافقتها المناخ الفكري السائد، مع ضرورة إتقان عملية الترجمة التي تقتضي توفير المعايير الفنية في أثناء عملية نقل النص بما يحقّق النوعية في تبليغ الرسالة وفق الذائقة المتلقيّة، ولن يكون ذلك محقّقا إلا بنقل المعنى في دلالالته، وليس باستبدال كلمة بكلمة، أو عبارة من اللغة الأم إلى اللغة المنقول إليها، كما أشار إلى ذلك Edward Sapir في كثير من المواقف؛ الأمر الذي من شأنه أن يبعدنا عن سياق المعنى المراد. وفي ضوء ذلك أصبح سياق الحديث دارجًا عن الدراسات التي تعنى بالترجمة [الهادفة]، وعن أهميتها في شتى دراسات المعارف، "بخاصة الحديث عن دورها في تحقيق مطالب نمو هذه المعارف، أو تلك، من النص الهدف على اختلاف ألسنته. ومن ثم أصبح الاتساع في تطوير هذه المعارف من داخل الدراسات الترجمية ضرورة من ضرورات استجابة مطالب العقل المنتج، وحاجة ماسة لتنامي الأساليب العلمية، ومواطن التلاقي بين الثقافات، وما لهذا التلاقي من تأثر وتأثير للتيارات الفكرية. ولعل الدور نفسه تقوم به الدراسات المقارنة التي تُعنَى هي الأخرى بنصين مختلفين في اللغة؛ لإظهار خصوصية كل منهما، وانعكاس ذلك على فوارق خصوصية [**الذات/الآخر**] المستمدة من النصين، اعتقادا منا أن كل نص هو تعبير بالضرورة عن معطى ثقافي معين."(3)

ولعل مبعث وظيفة الترجمة هو التواصل؛ للوصول إلى التقارب في تقصي الحقائق، وقد أشار إلى هذا كل من (بيرلمان ChaÏm *perleman*) و (تتيكا Lucie Olbrechts Tyteca)، في أثناء تطرقهما إلى الحجاج في نقل المعلومة حين يقف متلقي لغة المصدر موقف الشريك في إنتاج المعنى؛ بما يراد لنص لغة الهدف من تواضع عرفي، وليس بما يستلزمه موقف الناقل الحرفي؛ لأن استمالة المتلقي تقتضي استدراجه إلى تقبل المعنى المتوخى، لا إلى التصديق والاكتفاء، أو أن تجعل العقول تذعن لما يطرح عليها، وأن يزيد في درجة إذعانها باعتماد وسائل التأثير في أفكاره وعواطفه وخيالاته(4)؛ من منظور أن نجاح النقل مرهون بالسياق الإبلاغي، ووضع التخاطب موضع فهم الأيقونة الخبرية؛ من أجل أن تمكن المتلقي من استبانة الصورة، وتجليها بشكل واضح، ولن يكون ذلك مدركًا إلا إذا كان نص لغة الأم منقولا إلى اللغة الثانية؛ بما تحكمه العلاقة السببية بين اللفظ ومعناه في سياقه المتواضع عليه؛ أي بنقل المعنى الحقيقي، أو الظاهري Literal Meaning إلى المعنى الضمني Connotative Meaning.

2.النص المصدر، التكيف والتمثل

قد يكون لكل نص شفرته الخاصة، لكن ذلك لا يقلل من فصل المعنى عن السياق العام الذي تنطوي عليه طبيعة المعاني الاقترانية Association التي تشترك فيها معظم الثقافات المختلفة. وهذا يقودنا إلى التساؤل عن طبيعة العلاقة بين المترجم والمتلقي، أو بصورة أدق، كيف ينتج المترجم المعنى من النص المصدر؟ وهل ينقل لنا المعنى المعجمي بمحاكاة المعنى السياقي Contextual Meaning أو المعنى المجازي Figurative meaning في معناه الدلالي؟ أو يجمع بين هذا وذاك؛

ليعطينا معنى يداعب به الكلمات في سَمْتِها التأويلي، ويتعامل معها وكأنها تحمل صورًا أيقونية؟.

إننا نعتقد أن الترجمة المنتِجة تمثل منبت التبصر والتروي؛ حين يخلق المترجم نصه من داخل نص الآخر، وهو ما يسمى بتوطين النص الأصلي، وصهره في النص المنتَج، على نحو ما نجده عند قدمائنا حين أخذوا بالترجمة إلى التوطين بعد التأمل، وأكسبوها ناصية التدبر في بلاغتها، ومن ثم فإن الترجمة المنتجة التي نتوخاها هي الوسيلة الرئيسة التي تدير النص بما تفرضه عملية النقل بطرائق تبتعد بإصرار عن الحرفية والنقل، وتلح على إمكان التصرف بوساطة التأويل، الذي أصبح يشكل أنجع الطرق المستخدمة في ابتداع ترجمة قادرة على الإفهام بإعادة صوغ معاني النص الأول، على نحو ما يلائم ثقافة النص الثاني "ولما كان النقل المطابق من لغة إلى أخرى ضربًا من المستحيل، فقد كانت في حقيقتها ضربا من التأويل"[5]

وإذا كانت ترجمة النص الهدف – بوصفه فعلا منجزا – رديفًا في سياقه للنص الأصلي بالكيفية التي تنتج معنى ثانيا في لغة النص المترجَم، فإن تحديد مسار هذا النص يكمن في التفاعلات الثقافية المكتسبة للمترجم، وتمكنه من آليات اللغة ومفاصلها، على نحو يتمشى وأفق انتظار المتلقي، بعد التحكم في **"فك رموز النص في لغة المصدر، وترميز النص في لغة الهدف"**[6].

وبالنظر إلى تداخل المعارف، وتضافر الكثير من المفاهيم فيما بينها وبالنظر إلى تعزيز سبل التواصل في إطار ترابط السياقات الثقافية، فإن ما يحكم كل نص هو تسنينه عبر ضوابط محددة، توجهها خصوصية منظمة

لكل ثقافة توجه مقاصد التواصل، وفق أنساق متعارف عليها في هذه الثقافة أو تلك، وهذا ما يجعل المترجم في حيرة، وبخاصة حين تواجهه بعض الأنساق العلاماتية، ذات الطابع الخصوصي لثقافة ما، حينها يتساءل ما إذا كان بوسعه التصرف في تفكيك هذه العلامات، واستثمارها بما تؤهله ثقافته في التصرف أم يلتزم حرفيا بالتفاعل مع الترجمة الحرفية، بحسب فضائها العلاماتي؟

والحال هذه، أن الترجمة في سياق تسنينها تخضع بالأساس إلى التأمل في الأساليب، التي تستلزم التدبر في نقل المعنى، بدلا من تعقب الترجمة ذاتها، ولن يكون ذلك محققًا إلا في ممارسة عملية الفهم والإفهام. وقد تطرق جورج مونان Georges Mounin إلى أهمية الإفهام، في هذا المجال، معتبرا أن النص الأدبي – على سبيل المثال – الذي لا يستوعب إمكانية الاحتواء والتمكين من فهم الصورة، يعيق الفهم الدقيق لمعاني تلك النصوص، وربما تلاشت جهود المترجم الذي " يعرف جيدا أنه لا يترجم لغة إلى لغة أخرى، وإنما يفهم كلامًا، وينقله أيضًا، معبرًا عنه بطريقة لا تستعصي على الفهم، ويكمن جمال الترجمة وأهميتها في أنها صلة بين مقولة الكاتب وفهم القارئ"(7). وقد يبدو في ظل هذا السياق أن تعطيل ظاهرة التماثل المستوفي المعنى في النص المترجم هو ما يعطي القدر الكافي لممارسة التصرف في النص بطريقة تأويلية؛ – دونما الإخلال بالمعنى - وهي حرية مقترنة بالاستيعاب والتدبر في آلية التصرف في النص المنقول إلى لغة الهدف، وفي هذه الحالة "إذا كان تباين الأساليب التعبيرية يحول دون تأديتها لمعانيها بانتقالها إلى لغات أخرى، فمن حق المترجم التدخل لإعادة صياغتها في اللغة الأم، مع الإبقاء على التكافؤات الأسلوبية والدلالية، وهو ما يعرف بثنائية الحرفية والتصرف، ويمكن إيراد الاختلافات الأساسية في نظرية

الترجمة في مجموعتين تنتميان إلى قطبين متضادين: الأول الترجمة الحرفية، إزاء الترجمة الحرة ، والثاني: التأكيد على الشكل إزاء المضمون، وترتبط هاتان المجموعتان من الخلافات ارتباطا وثيقا ببعضهما ، ولكنهما غير متماثلين؛ إذ إن شدَّة التوتر بين الحرفية والحرة يمكن أن تنطبق بدرجة متساوية في الواقع على كل من الشكل والمضمون"(8).

تحيلنا الدراسات الترجمية باستمرار إلى الإشكالية الواقعة بين النقل الحرفي والنقل الكفيء، كما لو أنها تحيلنا إلى النظر في وظيفة ائتمان المترجم على استيفاء المعنى من اللغة الأم، أو أنه أخلف وعد الوظيفة المتوخاة؛ لنقل رسالة النص بالموسوغات المطلوبة في اللغة المنقول إليها. وقد لا يختلف اثنان في هذا المقام أن الترجمة المعتمدة على تأويل المستعصي بما يستوجبه الامتثال للذائقة المتلقية والإذعان للقصد المبتغى، حتى تكون مطابقة في ذلك للغة المتلقي ومحفزة لتذوقها، وفي ذلك حاجة ملحة إلى فهم دلالة مصدر النص، أو فهم مدركات الآخر المعرفية والثقافية، حتى لو جاء في نسق يخرق حدود الذات في محيط هويتها، وعلى الرغم من ذلك فإن إطلاق صفة [المترجم الكفيء] لا تنطلي على إنكار دوره في توطين معنى النص الأصلي، إلى درجة أنه ربما من الأجدى له تقريب النص إلى الذائقة التي يألفها المتلقي، وتنسجم مع واقعه، وقد سبق أن ذكرنا، في مواقف عديدة، أن الفكرة التي يستند إليها المتلقي في دلالة الألفاظ – على وجه الخوص – لا ينبغي أن نسوقها على ما يتصوره المعنى في ذاته، بقدر ما ينبغي أن نحملها السياقات المجازية فيما ترمي إليه من معانٍ أخرى، ومن هذا المنظور هنا يكون اجتذاب النص المترجَم مزيَّة لازمة لأهمية الرسالة المتوخاة، هذه الترجمة التي تحاول إعادة إبداع آخر من النص المصدر

بشرط أن يتبع ذلك علاقة اقتران متبادلة بين المعنى في كليهما، وقد حدد الكثير من دارسي الترجميات أن هناك جملة من المقاربات من شأنها أن تسهم في توصيل المعنى من خلال هذه العلاقة:

- نظرية **المرجعية** التي تعبر عن العلاقة بين كلمة ومرجع، وفق شروط معينة.
- تحليل **المكونات** التي تستفيد من القياس، حيث تحتوي كل كلمة على عدد من ذرات المعنى.
- مسلمات **المعنى** التي تربط المعنى بالمعنى بوساطة تقاليد نظرية المجموعات.[9]

إذا استوعبنا الترجمة على أساس أنها تقوم بتأدية وظيفة توصيل ثقافة الآخر العليا، أكثر أداء دورها بالإسهام في صناعة ثقافة الإخصاب، والمهمة المعرفية التي تؤديها في الوعي من أجل السعي إلى توطين فكرة [التعايش والتفاعل] وسلامة الإدراك. وهكذا يبدو أنه من الأجدى الشروع في ربط الترجمة بالعلاقات المتداخلة بين الثقافات، وفي بعض الأحيان حتى في الثقافة الواحدة وهو دور نافع يقاسم الكيفية التي ينتج بها المترجم المعنى دون الإخلال بعنصري الدال (the signifier) والمدلول (the signified) في معنى النص الهدف – على وجه التحديد - ونضرب لذلك مثالا لاختلاف المعنى حتى في الثقافة الواحدة، على نحو ما نجده لدى القراء الناطقين بالإنكليزية لقصية إملي دكنسون Emily Dickinson في قصيدة لها مشهورة تتحدث فيها عن [عصير الورد] في جملتين شعريتين منها بلغتها الأصل:

- The **Attar** from the Rose

In Ceaseless **Rosemary**●

وقد يتصادف ألا يكون القراء أعضاء في جماعة الخطاب التي تنتمي إليها الشاعرة، قد لا يعرفون المعنى المعجمي لكلمة (Attar) وقد لا يرون الصلة بين كلمة إكليل (Rosemary) والموت، وكذلك قد لا تكون المظاهر الأيقونية (المطابقة) في القصيدة واضحة بالنسبة إليهم، وحتى لو كانوا من أبناء اللغة الإنجلزية ، فقد تختلف معرفتهم الثقافية عن المعرفة الثقافية Cultural Literacy التي توافرت لقراء الشاعرة إملي دكنسون الذين كانت تقصدهم في زمانها.(10)

وإذا كانت الترجمة مرهونة بين التدبر والتباين، فإن الاختلاف في ذلك قائم بصورة ملتبسة أكثر في فوضى المصطلح، الذي لم يستقر على حال لدى المترجمين العرب، تحت أي مسمى من المصطلحات، نظير مسوغات النزعات الفردية، التي عجزت عن إيجاد عامل مشترك في فهم المصطلح، وكرست ركاكة السند العاجز في أداء الوظيفة المشاعة بين النقاد. ولعل في ذلك ما يبرر اضطراب دلالة المصطلح وعدم فهمه الفهم الصحيح في لغته الأصل؛ مما يزيد من غموضه في لغة الهدف؛ إيمانا من أن الترجمة ليست مجرد وسيلة لنقل المعارف والفنون، بل هي طريقة لتوليد تلك الفنون وصياغة أفكار تلك المعارف بأساليب متقنة، تستمدّ صلابتها من ثقافة المترجم، وقدرته على التشفيرencryption، فهو بما يضيف، ويحذف، ويغير، ويبدل، يعيد هندسة العمارة النصية، محتفظا بالأثر الجمالي، فيلقي به إلى جمهور القراء، وقد شيد بنبرات وإيقاعات اللغة المنقول إليها، وشحن برموزها وطاقتها الإيحائية وكثافتها الأسلوبية.(11)

3. الترجمة بين المعنى المركزي والمعنى الكفِيء

تعد الدراسات الترجمية في سياق المدونة العربية إيذانا بالارتياب؛ بخروجها - في كثير من المواقف - عن السياق الثقافي Context of Culture للغة المنقول إليها، وفي ضوء ذلك تصبح ترجمة دلالة المصطلح، أو العبارة، بعيدة المنال ومترامية المفاهيم في وظيفة المعنى المركزيّ Central meaning، كونها لا تعنى بما تشير إليه الدوال المطردة في الاقتفاء بإعادة إنتاج النص بالمعنى الاقتراني بين لغة المصدر ولغة الهدف، وغير موصولة - الانضواء - بالمعنى التليد، ودون مراعاة نقل اللفظة في سياقها الذي تستدعيه حاجة البيئة المحلية، من أجل الحفاظ على هوية الذات الثقافية، بعيدًا عن شفرات دراسات التابع، التي نادت بها غاياتري سبيفاك *Gayatri Spivak*، *وفي هذه الحالة لا يكون* الاقتران بالآخر إلا من منظور تحديد الفرصة التي يستغلها المتلقي في النص المترجَم لتجاوز التبعية، اعتقادًا منا أن النصوص في أصولها غالبا ما تختَرق وتنتَهك، وكما تم التأكيد على إثبات الظن، والشك في التماثل شكلا ومضمونا، كذلك لن يعتقد أحد في تراجع معنى الأمانة، وإذا كان هناك من وفاء يتوجب على ناقل النص من اللغة الأمم الالتزام به، فهو وفاء للنص المترجَم الذي يقرب صلة المتلقي بالنص المصدر في معناه، حين يصقله بتقنياته الفنية، ومدركاته الضمنية، حتى لو تباعدت التأملات، فإنها لامحالة تكون قادرة على التأثير؛ إذ "المترجم الجيد هو الفاهم لمعاني النص، ليس فقط العارف بألفاظ اللغة التي يترجم منها وإليها، ومتصورا إياها تماما كتصور المؤلف الأصلي، فالمترجم مبدع مثل المؤلف، وعارف باللغة واستعمالاتها مثله، فإن لم يكن المترجم غير قيم بمعاني النص، دخله الخلل"[(12)]

ومن هنا تكون أهمية الترجمة مبنية على تضافر دالين متشابهين بالاقتران Association في نص واحد بلغتين، بحيث تكون سيرورة الترجمة ناتجة من كينونة النص الأصلي، من حيث التماثل الدلالي، وعرض ما تتضمنه العلاقة الاعتباطية بين الدال والمدلول في اللغتين، حتى لا يكون هناك انفصام بينهما عند المترجم الكفيء، القدير بمهاراته اللغوية، والجدير بالتحكم في صورتي الدال والمدلول في اللغتين؛ باستخدام المعايير الضابطة؛ لتحديد مقاصد دلالة النص، التي يوجبها الموجه الإدراكي من المترجم، والكفاية اللازمة لاستنتاج التراكيب المعنوية للكلمات في جميع مستوياتها، اقتداء بالفكرة الدارجة بأن الترجمة سياق تفاضلي في اصطفاء "دواليلَ لغويةٍ linguistic signs؛ إذ يقوم كلٌّ من هذه الدواليل على مقوِّمين جوهريين متباينين، هما: المقوِّم المادّي أو الإحساسي الذي يحدّد الدالّ، من طرف، والمقوِّم المعنوي أو الإدراكي الذي يعيّن المدلول، من طرف آخر"(13)

والمترجم الكفيء الذي نقصده ينبغي أن تتوافر فيه جملة من المواصفات التي تمكنه من إعادة إنتاج النص المترجَم؛ من أجل إعطاء المعنى الضمني Connotative meaning حقه، اعتقادًا منا أن كل نص قائم على ممارسة إبداعية، أو تحليلية هو في كلتا الحالين ينبثق منه معنى دلالي، كما أنه يعد نصا مبنيا على علاقات بين العلامات والأعراض symptoms في كل ما له صلة من تواصل ومبنى، ومعنى، وتلقٍ، وهي معطيات مبنية على المعنى العلائقي Relational Meaning فيما بينها، والمترجم في هذه الحالة يسعى إلى ترجمة قدرات النص المصدر، حتى يكون كفيئًا للنص الهدف في توصيل المعنى الإيحائي Suggestive Meaning، بوصفه غاية يجمع بين ثقافتين تعاينان الإنسان حيثما كان في

هواجسه، وكأنه ذات واحدة من خلال التفاعل مع أنماط الحياة المشتركة؛ لأن المسافة الزمنية للمعرفة تقاس بالتثاقف، وتُعنى بإثارة المعنى العلائقي بالشاغل المشرك بين الثقافات، وبهذه الطريقة يتم إلغاء تلك المسافة التي من شأنها إبعاد التآزر بين الأنا والآخر في التقيد بالنزعة الفردانية؛ إذ لا يمكن أن نقيد أي ثقافة أو معرفة عن حالة وقوعها رهن تداعي ما تقدمه الذات لنفسها بمعزل عن الآخر لأن تشكل المعرفة ينعطف على الآخر في الذات؛ في تعاملها مع الكون الذي لا يتشكل برصد الأحداث والوقائع من تفرد الذات بنفسها، وإنما تماثل الخبرات في السياق الكوني هو مصدر التفاعل بين البشر، وفق مجموعة من المؤثرات الاجتماعية والطبيعية، التي يمكن أن تمر بها أية منظومة إنسانية من على وجه الأرض، وهذا ما يمثل الأرضية الثابتة للمترجم الكفيء الذي تأتي مسؤوليته في استعمال اللغة التي تحول صورة الغربة في النص المصدر، إلى ألفة في النص الهدف، كما يتضمن التزامه في السعي إلى تأثيره على المتلقي بدافع الإحاطة بمضمون النص في جميع مفاصل دلالاته، ظاهرها وباطنها؛ "إذ المترجم لا ينقل وحدات لسانية، وإنما يعيد تشكيل أنماط قولية، وقد تصادفه بعض التعابير ذات التراكيب العادية والمفردات المألوفة، ولكنها توحي بدلالات غير مباشرة مما يضطره إلى تصور النموذج التعبيري المكافئ الذي يتطلب منه القدرة على التشفير encryption والقدرة على الترميز Coding؛ كما أن المترجم لا يتعامل مع كلمات، وإنما مع صيغ منتجة ضمن سياقات، " لأن الكلمات ليس لها معان وإنما لها استعمالات، وإن هذه الاستعمالات تخرج من محيط اللغة الساكن إلى محيط الكلام المتحرك. كما أن معنى الكلمة يكمن في استخدامها"(14) في حين يكمن الفرق بين المعاني في كيفية الاستخدام. ومن الضروري أن نشير في

هذا المجال إلى صعوبة اختيار المترجم لمجموعة من الأشكال التعبيرية في النص الهدف لتسدّ مسدّ نظيرتها في النص المصدر، وتلك تجربة لا مفرّ منها.[15]

لعل المستوى الأمثل للمترجم الكفيء هو استيعابه النص بالمهارة اللغوية والدلالية، بما تؤدّيه الوظيفة الإفهامية، وليس من قبيل المصادفة أن تكون الترجمة متوافقة مع متطلبات التعدّدية الثقافية المشتركة، التي فرضتها أنظمة العولمة المعرفية؛ ففي ضوء تنامي الدراسات العلمية والثقافية، والتغيرات الاجتماعية المتلاحقة؛ بفضل تكنولوجيا المعلومات، تتجه الترجمة إلى إبراز مكانتها بإيجاد المناخ المناسب لذوق المتلقي [الرقمي]، ومواكبتها الإحاطة بضغوط تفاعل الحضارات، بعضها ببعض؛ لتعزيز التواصل بين الثقافات، هذا التواصل الذي من شأنه أن يرسي دور المهارات اللغوية والثقافية، ومن ثم يتعين على المترجم الكفيء الإحاطة بعدد كبير من عناصر اللغة، ونسقها الدلالي فهو لا ينقل وحدات لسانية، وإنما يعيد تشكيل أنماط قولية، وقد تصادفه بعض التعابير ذات التراكيب العادية والمفردات المألوفة، ولكنها توحي بدلالات غير مباشرة؛ مما يضطره إلى تصور النموذج التعبيري المكافئ الذي يتطلب منه القدرة على التشفير encryption والقدرة على الترميز[16] Coding، وضمن هذا السياق نعتقد أن المترجم الكفيء يبدو أهم عنصر فاعل، كما يعد ركنًا مهما من حاجة الذوق السليم إلى اللغة المترجم إليها، وشرطًا من شروطها الفاعلة، والمؤثرة على التلقي المنتج.

والحال هذه، لم يعدّ المترجم يبحث عن الوصف، ولا عن التشبيه، أو المؤتلف والمختلف في النص، ولكن مهمته تستلزم إنتاج معنى، يوازي المعنى في لغة المصدر، بقيمها المعرفية المتميزة على أساس نقل الثقافة المسهمة في بلورة

مكونات الحضارة الجديدة، وفي ظل انتشار الثقافة الشمولية - المشاعة - بتداعيات أفكار العولمة، تكاد الدراسات الترجمية تجمع على أنها ليست سوى تخليق لتجاور ...بين ثقافتين.. وتوفير المناخ الملائم لإحداث تفاعل بينهما ... غير أن هناك شرطين اثنين لحدوث ذلك التفاعل: أن يتحرّر المترجم من الاستعلاء والاستخذاء، فكلاهما يعدّان حاجزين منيعين، يحولان دون حدوث هذا التفاعل، فالاستعلاء يقود إلى الرفض والنبذ، والاستخذاء يؤدي إلى القبول والتسليم، دون نقد هو الاخر.(17) وفي ضوء ذلك تعد الترجمة عاملا مساعدا على نقل كل ما هو مشترك في الثقافات، والموضوعات انطلاقا من أن السنن الشمولي بين هذه الثقافات، وهو ما أشار إليه أمبرتو إيكو في حديثه أثناء التساؤل المألوف عن (معنى أن نترجم؟) فكانت إجابته [في كتاب]: "**أن نقول الشيء نفسه تقريبا**"، وأن تكون الترجمة كذلك، يعني أن التوجه الذي ينطلق منه المترجم يفترض أن يكون مبنيا على محاورة النصوص بعضها ببعض، ومحاورة المترجم مع المؤلف، ومحاورة المتلقي مع كل ذلك؛ لإنعاش ثقافة الهدف التي من شأنها أن تفيد ما تعنيه الرسالة المتضمنة في النص حتى "نفهم النظام الداخلي للغة وبنية النص المكتوب في تلك اللغة، وأن نصنع نسخة من النظام النصي، يمكنها تحت وصف ما، أن تخلق لدى القارئ أحاسيس مماثلة، سواء على المستوى الدلالي والتركيبي، أم على المستوى الأسلوبي والنظمي والرمزي/الصوتي، وجميع المؤثرات العاطفية التي كان يهدف إليها النص المصدر. "**تحت وصف ما**" تعني أن كل ترجمة تظهر هوامش من عدم الوفاء بالنسبة إلى نواة من الوفاء المزعوم، ولكن القرار حول موضع النواة وسعة الهوامش تتوقف على الأهداف التي رسمها المترجم(18)

هذه النواة غالبا ما تميل إلى الكيفية التي ينقل بها النص عبر آلية التحويل؛ أي تحوّل نص المصدر إلى نص الهدف، وتوفير معيار الفهم، وما تزال الطروحات الفكرية في هذا المجال تثير الجدل حول أهمية الترجمة في إنتاجية المعنى، وضمن ما يندمج فيه المترجم من كفاياته، ومهاراته في كيفية توظيف الترجمة المنتجة، هذه الترجمة التي تحاول إعادة بناء النص وفق مستلزمات بناء النص المنقول إلى اللغة الهدف؛ إذ من غير من الممكن "لأي إنسان أن يحتفظ في لغة غير لغة الأصل بكلّ ما في العمل الأدبي من عواطف، وصور، ولفتات تعبيرية وخصائص أسلوبية"[19].

وقد اعتبر **نيدا** Nida أن هناك تساؤلات تلزم المتلقي Récepteur أن يكون مدركا لها حتى يصل إلى مستوى التأثيرات الواردة في النص الأصل، وهي التمكين من مستوى البنية التركيبية لأنظمة النص الثقافية واللغوية في النص الأول، لإيجاد ما يصبو إليه، ذلك أن معرفة هذا النسق من شأنه أن يكسبه دلالات أعمق لتحويل النص إلى الفاعلية والنفوذ في الذوق " بين التأثير المتطابق في اللغتين المترجم منها والمترجم إليها عن طريق الترجمة التأثيرية، والتطابق الشكلي بين اللغتين، ... وقد كانت فكرة التوصيل (والتلقي) المسعى الأساس لعملية الترجمة، وبدافع من هذا المسعى أعطيت للمترجم (الكفيء) حرية التصرّف عن وعي ودراية باللغة المنقول منها، وببعديها الثقافي والحضاري كذلك ينبغي للمترجم أن يتقن أساليب التصرف بامتلاكه مهارات التأمل في حفريات النص المصدر، والرؤيا التي ينبثق منها.[20] والمترجم الكفيء في هذه الحالة هو المنتج اللّبيب بمدركات مفاصل المعنى، بدافع إنتاج نص نَدِيدٍ لنص المصدر؛ إذ لم تعد الترجمة عبارة عن نقل النص بالتعامل مع الكلمات في محيط

اللغة الوظيفية الساكنة، بقدر ما يستوجب منه اصطفاء الأنماط التعبيرية الهادفة، وهذا يعني أن المَأْثَرة الأولى للترجمة المخصبة تحيل إلى نقل الوعي قبل نقل الفكرة، من منظور أن مهمة صفات هذا النوع من المترجم يدخِل الترجمةَ في عين معقولات اكتشاف الدلالات، التي تضع نفسها في خانة التوازي مع النص المصدر، أضف إلى ذلك أنه من الأفضل ألاّ نغفل الأسباب الكامنة وراء هذه المفارقة. ولعل أبرزها عدم الفصل بين الترجمة البراجماتية Pragmatism والترجمة الأدبية. ففي حين يشترط في الأولى الدقة والوضوح والالتزام الحرفي بالأصل أمكن لمترجم النص الأدبي أن يتمتع " بقدر من الحرية أمام النص الذي يترجمه وحتى إذا راعى الدقة في ترجمته باستطاعته التصرف في النص بطريقة ما وحذف شيء هنا، وإضافة شيء هناك، بل باستطاعته أيضا إعادة كتابة النص في صياغة جديدة "[(21)]، وهذا لا يعني أننا ندعو إلى أن تكون الترجمة وفق ما يمليه المثل: [الحبل على الغارب] وإنما ما نقصده هو أن يكون لدى المترجم قدرة على بعث النص بحدسه المشبع باللغة في الجهتين، ووعيه بقيمة ما في كل لغة من رؤية تذوب فيها كل المسافات الفاصلة بين القيم الفنية الواردة في النص الأول. وذلك جهد يتطلب تقمّص وجدان كل لغة، وما تطفح به من إشعاعات ثقافية وفنية.

إن التخلص من الترجمة الحرفية السياقية، التي تبعد جوهر المعنى المراد يعيد للمعنى غايته في تحقيق التناسق والانسجام بين النص المصدر والنص الهدف، وبين المؤلف والمترجم، وبين المتلقي الأول والمتلقي المنقول إليه النص على أساس تصوّر مشترك بين النصين في بعديهما اللساني والثقافي، وفي ضوء ذلك نعتقد أن المترجم الكفيء يتجاوز النقل الحرفي إلى توظيف المهارات التأويلية

لتقريب النص المصدر إلى الغاية المنشودة، لأن كل جهد تأويلي للعبارات الكامنة في النص هو محاولة للتعمق في الفهم، ونقل الدلالة التي يتم إدراكها واستيعابها، بحسب الإسنادات والعلامات الدالة، التي تشير إليها دوال النص المصدر، سعيا إلى إنتاج معنى يناظر المعنى الأول. أضف إلى ذلك أن نقل النص وإعادة بنائه في سياق اللغة المنقول إليها يقوم على المعنى الذي تنبثق دلالاته من خارج اللغة اللسانية المحض، وهو ما يسميه اللغويون الدال ضمن اللغة intra-linguistic signifiers ، وفي هذه الحالة يتفاعل المتلقي مع الدائرة التأويلية التي تمنحه فهم النص من سياق يشترك فيه مع متلقيّ النص المصدر، الذي يسترسل في دلالاته من خارج اللغة النمطية، ظنا منا أن المعنى لا يظفر بمعناه الجلي إلا وفق ما تمليه العلاقات المطردة للتداخل المعرفي والثقافي المشترك بين الهويات الثقافية، والآصرة المتماثلة بين الذات والآخر، أو بعبارة أدق تقريب لغة الآخر من لغة الذات المنقول إليها، وكأنّ النص يمر بمرحلة عبور، ومن ثم فالترجمة تتخطى فكرة أنها عملية نقل نص إلى نص آخر، بقدر ما هي عملية تلاقح بين ثقافتين مختلفتين، ودمج ثقافة الحضور بثقافة الوصول عن طريق الحوار المنبني – هنا – على الإفادة والتحويل، وهو ما أشار إليه جون كوهن Jean Cohen الذي رأى أن الترجمة عملية تواصليّة توحّد بين لغتين دون إلغاء المسافة التي تفصل بين الأنا والآخر... فهي لغة ثالثة تجعل من الغربة ألفة. الترجمة لغة، أو ثقافة بينيّة interlingua intercultural لأنها تُجسِّر بين لغة المتلقي ولغة كاتب النص الأول وتُجسِّر ثقافة بأخرى"[22]، وكأنها تسهم في تسنين العلامات الماثلة في النص المترجَم من النص المصدر، ومن ثم فإن التشفير ينطبق على النصين معًا، وإعطاء المعنى حقه في كليهما، حتى تؤدي وضعية التواصل غايتها المنشودة، وهو ما بات

يطلق عليه بالترجمة التأويلية، أو "الترجمة الاتصالية" حسب تعبير بيتر نيومرك Peter Newmark، لما يحدثانه من أثر في المتلقي سواء في اللغة الأولى أو في اللغة الثانية المنقول إليها النص المترجَم؛ باستنتاج الفهم الاتصالي التأويلي، سعيا إلى إمكانية تجاوز ما ينتاب المتلقي من التباس بين ما هو ضمن المعنى الحقيقي literal meaning، أو ما يدخل ضمن المعنى المجازي figurative meaning، بوصفه الأهم في عملية النقل؛ لأن تجاوب المترجم الكفيء مع الترجمة التأويلية يمنحه القدرة على الدخول إلى العوالم الممكنة، التي ينشئها من فهمه النص؛ فيما ينبغي أن يكون عليه، وليس بما هو عليه، وهنا يكون المترجم مؤهلا بالتخلي عن النقل الحرفي بطرح البدائل في توظيف الدلالات، والوفاء لنقل المعنى العميق لمحتوى النص المصدر؛ لتقريب المسافة التي بين الأنا والآخر في الفهم والإفهام من منطلق أن النص - أياً كان نوعه، وفي أي مكان – يُعرف وجودُه من خلال المشاعر والتصور الموضوعي، ولعل مرد ذلك الفهم، بوصفه إدراكا للتفاعل الذي يؤدي فيه القارئ والنص والسياق دورًا أساسا، وفيه يقوم القارئ بعملية إنتاج للمعنى، وذلك بتفسير محتوى النص انطلاقا من معلوماته وأفكاره الشخصية، ومن خلال ما يرمي إليه من عملية القراءة[23]، وما يترتب عن ذلك من نقاش قد يعزّز من أهمية دور الترجمة، والسعي الحثيث إلى خلق جسر يربط التواصل بين الثقافات.

4.الهوامش:

---

(1) ينظر، الطاهر بومزبر، التواصل اللساني والشعرية، مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر 2007م، ص28.

(2) **Edward Sapir** : Culture، language، and personality، Berkley University of California Press 1956، p 69

(3) ياسمين فيدوح، إشكالية الترجمة في الأدب المقارن، دار صفحات، دمشق، 2009، ص 4

(4) ينظر، بوجادي، خليفة: في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية، في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، العلمة سطيف الجزائر 2009م ص 107

(5) يوسف سلامة، ما الترجمة؟ الترجمة بين النقل والتأويل، مجلة الآداب، ع6/5، سنة 1999، ص 42، وينظر أيضا، ياسمين فيدوح، فن الترجمة بين النقل والإبداع في سرد شهرزاد، دار صفحات، دمشق، 2012، ص 99.

(6) روجرت لندن بيل، الترجمة وعملياتها (النظرية والتطبيق) ترجمة، محي الدين حميدي، كتاب الرياض، 2000، ص105

(7) محمد نبيل النحاس الحمصي، الترجمة نقل العلامات اللغوية، أو صياغة جديدة، مجلة البيان، الكويت، ع 373/372، 2001، ص 11.

(8) نيدا، نحو علم للترجمة، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1976، ص 57. ينظر أيضا، ياسمين فيدوح، فن الترجمة، ص 102/101

(9) روجرت لندن بيل، الترجمة وعملياتها، ص 173. وينظر أيضا ياسمين فيدوح، فن الترجمة، ص 74.

(10) ينظر، كلير كرامش، اللغة والثقافة، ترجمة، أحمد السيمي، وزارة الثقافة والفنون والتراث، قطر، 2010، ص 16 و 37.

(11) ياسمين فيدوح، فن الترجمة، ص124.

(12) حسن حنفي، من النقل إلى الإبداع، دار قباء، القاهرة، 2000، ص 40.

(13) غياث المرزوق، الدَّالُّ، موقع معابر، الرابط http://www.maaber.org/

(14) كريم زكي حسام الدين: أصول تراثية في علم اللغة . ص 284.

(15) ينظر، ياسمين فيدوح، فن الترجمة، ص 130.

(16) ينظر، ياسمين فيدوح، فن الترجمة ، ص 130.

(17) ينظر، بيومي قنديل، دور الترجمة في عملية التثاقف بين الشعوب، ضمن كتاب مشترك، بعنوان الترجمة وتفاعل الثقافات ، حلقة بحثية، المجلس الأعلى للثقافة، 2006، ص 215.

(18) Umberto Eco; Dire presque la même chose: expériences de traduction; Ed Grasset ، 2006، p.23.

(19) عبد الحكيم حسان عمر: الترجمة الأدبية ومشكلاتها، مجلة الفيصل، ع 239، سنة 1996، ص39 .

(20) ينظر، ياسمين فيدوح، فن الترجمة 101- 103

(21) سامية أسعد: ترجمة النص الأدبي، مجلة عالم الفكر، م 19 ،ع، 1989، ص 17.

(22) Jean Cohen, Structure du langage poétique, Harmattan, Paris, 1971, p34.

(23) ينظر BLOOM (B. S); Caractéristiques individuelles et apprentissage scolaire, Paris, Fernan Nathan, 1979

قائمة المراجع

1. بوجادي، خليفة، في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية، في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، العلمة سطيف الجزائر 2009م.

2. بيومي قنديل، دور الترجمة في عملية التثاقف بين الشعوب، ضمن كتاب مشترك، بعنوان الترجمة وتفاعل الثقافات ، حلقة بحثية، المجلس الأعلى للثقافة، 2006.

3. حسن حنفي، من النقل إلى الإبداع، دار قباء، القاهرة، 2000.

4. روجرت لندن بيل، الترجمة وعملياتها (النظرية والتطبيق) ترجمة، محي الدين حميدي، كتاب الرياض، 2000.

5. روجرت لندن بيل، الترجمة وعملياتها. ترجمة محي الدين حميدي, كتاب الرياض، 2000.

6. الطاهر بومزبر، التواصل اللساني والشعرية، مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر 2007م..

7. كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في علم اللغة، وكالة الأهرام والتوزيع، 1998 .

8. كلير كرامش، اللغة والثقافة، ترجمة، أحمد السيمي، وزارة الثقافة والفنون والتراث، قطر، 2010.

9. نيدا، نحو علم للترجمة، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1976،

10. ياسمين فيدوح، إشكالية الترجمة في الأدب المقارن، دار صفحات، دمشق، 2009.

الدوريات

1. سامية أسعد، ترجمة النص الأدبي، مجلة عالم الفكر، م 19 ،ع، 1989،

2. عبد الحكيم حسان عمر، الترجمة الأدبية ومشكلاتها، مجلة الفيصل، ع 239، سنة 1996.

3. محمد نبيل النحاس الحمصي، الترجمة نقل العلامات اللغوية، أو صياغة جديدة، مجلة البيان، الكويت، ع 373/372، 2001.

4. يوسف سلامة، ما الترجمة؟ الترجمة بين النقل والتأويل، مجلة الآداب، ع6/5، سنة 1999.

1. Bloom (B. S) Caractéristiques individuelles et apprentissage scolaire, Paris, Fernan Nathan, 1979

2. Edward Sapir: Culture, language, and personality, Berkley University of California Press 1956.

3. Jean Cohen, Structure du langage poétique, Harmattan, Paris, 1971.

4. Umberto Eco; Dire presque la même chose: expériences de traduction; Ed Grasset, 2006

الروابط الإلكترونية

غياث المرزوق، الدَّالُّ، موقع معابر، الرابط http://www.maaber.org/